أين المنقذ من الضلال ؟

الدكتور محمد عمر الحاجي

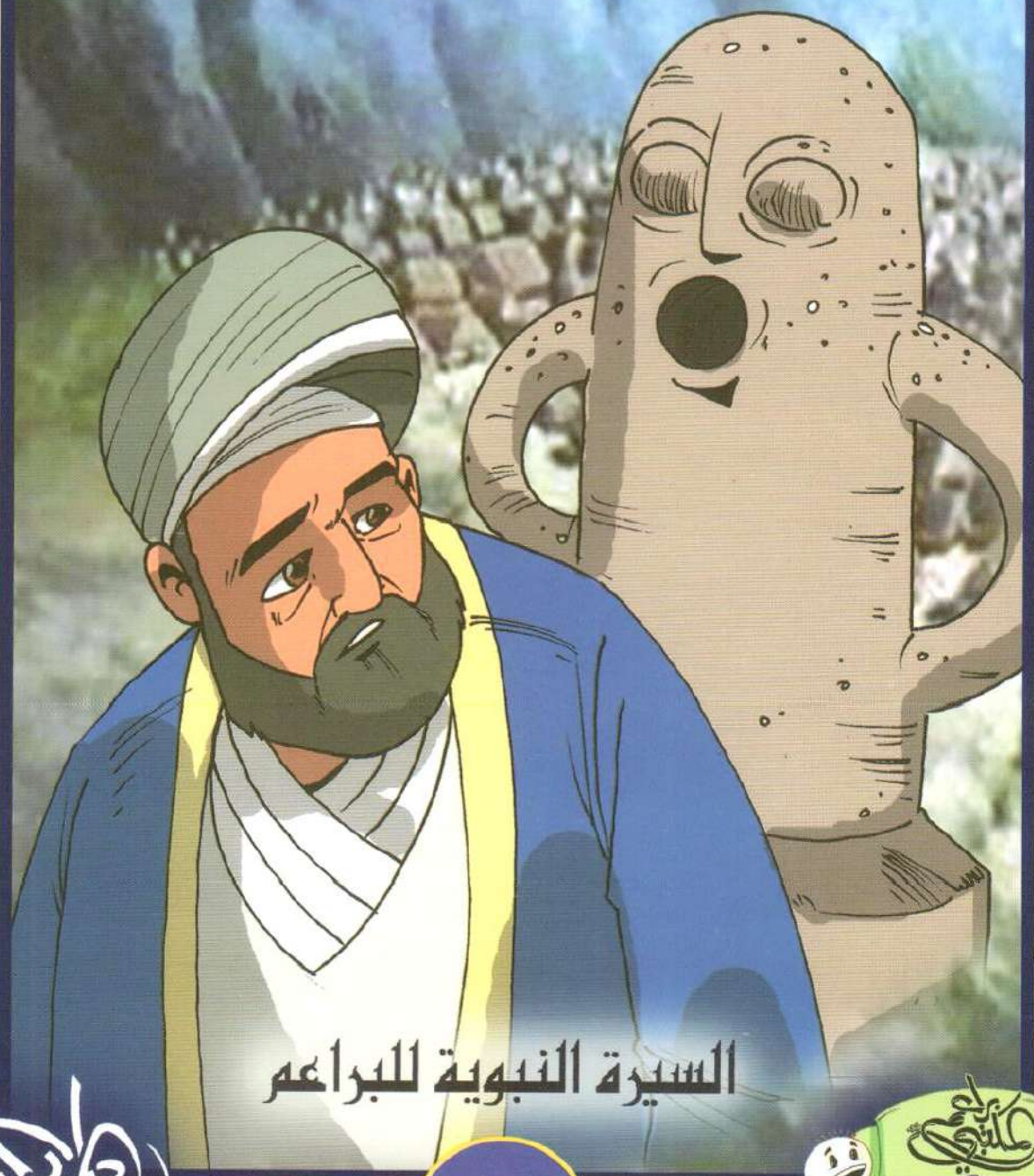

السيرة النبوية للبراعم

٢

السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٢)

أَيْنَ المُنْقِذُ ؟

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

إلىٰ أَيْنَ آلَ وَضْعُ العَالم ؟!

تَعَالَوا أَيُّها الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ لِنَبْحَثَ في كُتُبِ التَّارِيخ عن الوَضْعِ العَامِّ قَبْلَ مِيْلاد سيِّد الأنام عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام .

لَقَدْ مَرَّ عَهْدٌ طَوِيْلٌ على الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ والَّتي جَاءَ بِها نَبِيُّ اللهِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَنَبِيُّ اللهِ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلام ، مِمَّا أَدَّىٰ إلى غموضٍ في الرُّؤْيا تُجَاهَ مَا جَاءَتْ بِهِ التَّوْرَاةُ وَالإنْجِيلُ .

بَلْ لَقَدْ زُوِّرتِ الشَّرائعُ السَّابِقَةُ ، وَأَدْخَلَ النَّاسُ فِيها بَعْض التَّعْدِيلات .

وَفَقَدَ النَّاسُ مَصْدَرَ الوَحْي ، فَتَخَبَّطُوا في ظلماتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، فَهَذا يَصْنَعُ صَنَماً مِنْ تَمْرٍ ، ثُمَّ يَسْجُدُ لَهُ ، وَيُقَدِّمُ لَهُ القَرابِيْنَ ، وَيَعْتَبِرُهُ المُنْقِذَ ، فَإِذَا مَا جَاعَ ؛ الْتَفَتَ يَمْنَةً ، ويَسْرَةً ، فَإِذا لَمْ يَجِدْ أَحَداً يُرَاقِبُهُ ؛ أَخَذَ إِلـٰهَهُ ، فَأَكَلَه!!

وَذَاكَ يَعْبُدَ حَجَراً ، والثَّالِثُ يَعْبُدُ شَجَراً ، وَهَكَذا...

لِذَلِكَ لا بُدَّ مِنْ تَسْلِيطِ الأَضْوَاءِ على الوَضْعِ العَامِّ الَّذي كان عَلَيْهِ بَعْضُ الشُّعوبِ والدُّوَلِ ، فَتَعَالَوا أَيَّتُها الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ لِنُتَابِعَ ذَلِكَ .

* * *

الإمْبراطُورِيَّةُ الرُّومانِيَّةُ

إنَّها إمْبراطورِيَّةٌ عَظِيْمَةٌ ، امتدَّتْ منذ عام (٣٩٥م) وحتَّى عام (١٤٥٣م) ، وَسَيْطَرَتْ على دُوَلِ اليُونانِ والبَلْقَانِ وَآسْيَا الصُّغْرىٰ وَدُوَلِ البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ ، كسُورِيَّةَ ومِصْرَ وفِلسطينَ وَغَيْرِها .

وكَانَتْ عاصِمَتُها (القُسْطَنْطِيْنِيَّةَ) ، ويُمْكِنُ تَلْخِيْصُ وَضْعِهَا بِمَا يَلِي :

ـ من النَّاحية الاجتماعيَّة : زادَتِ الضَّرائبُ ممَّا جعل الشَّعْبَ يُعانِي الأمَرَّيْنِ . وانْقَسَم النَّاسُ إلى طَبَقَاتٍ ، مِنْها المُتْرَفَةِ ، وَمِنْهَا المَعْدُومَةِ ،

وَتَفَشَّتِ المَفَاسِدُ السَّيئَةُ ، كالرِّشْوَةِ ، والزِّنى ، والخِيَانةِ ، وَمَا إِلىٰ هُنَالِك .

- أَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ : فَقَدْ خَرَجَ (بولس) فيهم ، فَمَزَجَ بَيْنَ المَسِيْحِيَّةِ والوَثَنِيَّةِ ، وَتَعالِيم (أَفْلاطُون ، وَأَرِسْطُو) ، وَتَحوَّلَ النَّاسُ إلى عِبَادَةِ الصُّوَرِ والقِدِّيْسِيْنَ ، وَوَقَعَتْ حُروبٌ رَهِيْبَةٌ بَيْنَ الأَحْزَابِ ، والجَمَاعَاتِ الدِّيْنِيَّة!

- وَمِنَ النَّاحِيةِ السِّياسِيَّةِ : فَقَد الإِنْسَانُ كَرَامَتَهُ ، وَنُزِعَتْ مِنْهُ كلُّ أَنْواعِ المِلْكيَّة ، وأَخَذَ (القيْصَرُ) مَوْقِعَ الإلـه ، فَهُوَ الآمِرُ النَّاهِي ، يَفْعَلُ بالبلادِ ، وَالعِبَادِ مَا يَشَاءُ ، ويَسْجُدُ لَهُ الكِبَارُ والصِّغَارُ..!!

* * *

الإِمْبَرَاطُوْرِيَّةُ السَّاسانِيَّةُ ـ الفَارِسِيَّةُ ـ

اسْتَمَرَّتْ تِلْكَ الإِمْبراطُورِيَّةُ العَظِيمَةُ مُنْذُ عام (٢٤٤م) وَحتَّى أَوَاخِرِ القَرْنِ السَّابع الميلاديِّ ، وَسَيْطَرَتْ على بلادِ الرَّافِدَيْنِ وَإِيرانَ ، وَوَصَلَ نُفُوذُهَا إِلىٰ الهِنْدِ ، وَكانَتْ عَاصِمَتُها المَدَائِنَ ، وَيُمْكِنُ تَلْخِيْص وَضْعِها بما يلي :

ـ مِنَ النَّاحِيةِ الاجتماعيَّة : تَوَسَّعَتْ فِكْرَةُ الاضطهادِ وَالعُبُودِيَّةِ ، وَتَكَرَّسَتْ مَسْأَلَةُ الطَّبَقِيَّةِ ، فَهُنَاكَ مُلُوكٌ تَجْرِي في عُرُوْقِهِمْ دِمَاءٌ إِلـٰهِيَّةٌ ، وَهُنَاكَ عَبِيْدٌ لا يَمْلِكُون شَيْئاً ، وَلَيْسَ لَهُمْ إِلا الخِدْمَةُ وَسَمَاعُ الأَوَامِرِ وَتَنْفِيذُهَا!

وَظَهَر التَّضارُبُ في أُمُورِهِم الأخْلاقِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ فَكَانُوا يُحرِّمون أَمْراً ما ، ثُمَّ يَعُودُون إلى إبَاحَتِهِ تارةً أُخْرَى!

ثُمَّ دَعَا (مَانِي) إلىٰ العُزُوبَةِ ، وَتَرْكِ الزَّوَاج ، وَما إلى هُنَاكَ!

ثُمَّ نادَىٰ (مَزْدَكُ) بِإبَاحَةِ النِّسَاءِ ، والأمْوَالِ ، وَأَنْ يَكُونَ النَّاسُ في ذَلِكَ شُرَكَاءُ ، ممَّا أدَّى إلى طُغْيَان الشَّهَواتِ ، والفَوْضَى في كلِّ شيءٍ .

وَكَثُرَتِ السَّرِقَاتُ ، وَانْتَشَرَتْ ثَوْرَاتُ الفَلاحِيْنَ في كلِّ مَكَانٍ!

- وَمِنَ النَّاحِيَةِ الدِّينِيَّةِ : دَانَتْ دَوْلَةُ فارس بالدِّيانةِ الزَّرَادَشْتِيَّةَ ، وَقَدَّسَتِ النَّارَ ، وَحَصَرَتْ دَوْرَ الدِّينِ في المعَابِدِ فقط...

أَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ السِّياسِيَّةِ ، والاقْتِصَادِيَّةِ : فَقَدْ كَانَ الْحُكْمُ وِرَاثِيّاً ، وبالتَّالي فَإنَّ جَمِيْعَ مَواردِ البِلادِ كانَتْ مُلكاً لِلْحَاكِمِ المُطْلَق ، حتَّىٰ لَوْ كَانَ ذَلِكَ علىٰ حِسَاب لُقْمةِ العيشِ للشَّعْبِ ، إِضَافَةً إلىٰ الحُروبِ الطَّاحِنَةِ بَيْنَهم وَبَيْنَ الرُّومَانِ .

* * *

أَمَّـا المَـرْأةُ الهِنْـدِيَّـةُ فَقَـدْ سَـاءَ وَضْعُهـا الاجتماعِيُّ ، إلى دَرَجَةِ أَنَّ الرَّجُلَ كان يَخْسَر زَوْجَتَهُ بالقِمَارِ...!!

وَمِثْلُهـا حَـدَثَ فـي الصِّيـن ، فقـدِ انْتَشَـرَتِ الإباحيَّة عِنْدَهم في كلِّ شيءٍ .

* * *

أَمَّا أُوْرُبَّةُ

فَقَدْ أَطْبَقَ عليها ليْلٌ مُظْلِمٌ إلىٰ دَرَجَةِ أَنْ حَدَثَ فيها الدَّمَارُ والفَوضَىٰ والخَرَابُ ، ممَّا جَعَلَها أَقْرَبَ إلى مَرْحَلَةِ الزَّوَالِ ، وَالفَنَاء .

* * *

وكَانَ حَالُ اليَهُودِ!

وَقَدْ حرَّف اليَهُودُ التَّوراةَ ، فَحَذَفُوا مِنْها كلَّ ما يتحدَّثُ عَنْهُم بِسُوءٍ ، وأَبْدَلُوا ذَلِكَ بأنَّهم هُمْ شَعْبُ الله المُخْتَارُ ، وَكُلُّ مَنْ عَدَاهُم فَلَيْسُوا إلا خَدَماً لَهُمْ!

وَلَقَدِ اصْطَدَمُوا مَعَ النَّصَارىٰ في مَواضعَ عَدِيدَةٍ إلىٰ دَرَجَةِ : أنَّ ذَلِكَ سَبَبُ وُقُوعِ عَدَدٍ كَبِيْرٍ مِنَ الضَّحايا مِنَ الطَّرَفِيْن .

* * *

وَأَمَّا حَالُ الْعَرَبِ

فَقَدْ ظَهَرَتْ لَدَيْهِمْ حَضَارَاتٌ قَدِيْمَةٌ وَمَرْمُوقَةٌ ، منها :

حَضَارَةُ سَبَأ بِالْيَمَنِ : وَالَّتِي اهْتَمَّتْ بالزِّرَاعَةِ ، وَبِنَاءِ السُّدُودِ ، كَمَا قَالَ تعالىٰ : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ (١) .

---

(١) سورة سبأ : ١٥-١٧ .

وَمِنْها حَضَارَةُ عَادٍ في شَمَالِ حَضْرَمَوْت : وَالَّتي تَفَنَّنتْ في العِمَاراتِ ، والحَدائِقِ ، والمَصَانعِ ، ونحوِ ذَلِك .

ومنها حَضَارَةُ ثَمُودَ : الَّذِيْنَ نَحَتُوا مِنَ الجِبَالِ بُيوتاً ، وَمَا إلىٰ هُنَالِك .

أَمَّا الأَخْلاقُ ، والأُمُورُ الاجتماعيَّةُ : فقد عُرِفَ عَنْهُمُ الأخلاقُ الحَمِيْدَةُ ، كالوَفاءِ بالعَهْدِ والكَرَمِ ، والشَّجَاعَةِ ، ونحو ذلك .

وكانَ الوَضْعُ الاجتماعيُّ مُضْطرباً ، فالرَّجُل يَحِقُّ له الجمع بَيْنَ الأُخْتَيْنِ ، ويجوز لَهُ أَنْ يَجْمَعَ ما يَشَاءُ مِنَ النِّسَاءِ! كَمَا وحُرِمَتِ المَرْأَةُ مِنَ المِيْراثِ ، وانْتَشَرَتْ عَادَةُ وَأْدِ البَنَاتِ ، وقُسِّم المُجْتَمَعُ إلىٰ طَبَقَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ...

ومِنَ النَّاحِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ عَبَدُوا الأَصْنَامَ

كـ(هُبَل) و(اللاتِ) و(العُزَّىٰ) ، وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَأَنْكَرُوا الرِّسَالاتِ السَّمَاوِيَّةَ السَّابِقَة ، وَاسْتَبْعَدُوا أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ بَشَراً ، قَالَ تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

* * *

مَكَّةُ... . وَيَثْرِبُ

وَأَهَمُّ التَّجَمُّعَاتِ السُّكَّانِيَّةِ ، والاقْتِصَادِيَّةِ ، والحَضَارِيَّةِ كانَتْ في مَكَّةَ ، وَيَثْرِبَ ، فَمَكَّةُ هِيَ

---

(١) سورة يونس : ٢ .

(أمُّ القُرَىٰ) ، وَفِيْها المَرْكَزُ الرَّئيسيُّ للتِّجارَةِ ، وفيها البَيْتُ الحَرَامُ...

ويَثْرِبُ تُعْتَبَرُ الدَّائِرَةَ المتَّصِلَةَ بَيْنَ المُدُنِ الرَّئيسيَّةِ ، وفيها بَعْضُ الأسْوَاقِ التِّجارِيَّة...

* * *

الحَاجَةُ إِلَىٰ المُنْقِذِ

وَهَكذا كانَ الوَضْعُ العَامُّ لِلْعَالَمِ سَيِّئاً ، وكانَ الجَمِيْعُ يَتَطَلَّعونَ إلىٰ مَنْ يَأْتي لِيُخَلِّصَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيْهِ ، ويُنْقِذَهُمْ مِنَ الأَوْحَالِ ، فَكَانَ حَبِيْبُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ .

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *

السيرة النبوية للبراعم

إنه الأسوة و القدوة
أين المنقذ من الضلال
على مشارف ولادة النبي
ولد الهدى
قد شملتنا بركاته
يتيم الأب و الأم
أمانة في عنقك
تاجر وراعي غنم

زواج موفق
لقد اقترب النور
مقدمات نزول الوحي
زملوني ! زملوني !
بدايات
الدعوة إلى الله
على جبل الصفا
الوقوف في وجه الدعوة
تعذيب و ثبات

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢
email : almaktabi@mail.sy